تكملة باب " حَتَى إِذَا فُزع عن قلوبِهم قالوا مَاذَا قال رَبّكم قَالوُا الحَقّ وَ هُوَ العَلِيُّ الكبير"

كُنّا قد وصَلْنا إلى نصف الباب الّذي قال فيه الشيخ بابٌ " **حَتَى إِذَا فُزع عن قلوبِهم قالوا مَاذَا قال رَبّكم قَالوُا الحَقّ وَ هُوَ العَلِيُّ الكبير**"،

و بيّنا أنّ مقصود هذا الباب مقصودٌ عظيم ، إذ المقصود بيانُ أنّ الملائكة وهي المخلوقات التي خلَقَها الله –عزّوجل- لوظائف جسيمة كريمة وعلى هيئاتٍ عظيمة و بأعدادٍ كبيرة لا يعْلمها إلاّ الله –عزّوجل- حتى أنّه يدْخُلُ منها البيت المعمور في كُلّ يوم سبعون ألْف مَلَك ثم لا يرجعون إليه مرة أخرى.

هذه المخلوقات العظيمة لا تَسْتَحِق أن يُصرَفُ لها شيء من أنواع العبادة ، و قد بيَّنا إثنيْ عشر سببًا تدُلُّ على ذلك.

وهذه الآية التي بوَّب بها الشيخ و ترْجَمَ للباب بها تَدلُّ على ذلك دلالة بيِّنة.

فإنّها تدل على أنّ الملائكة تَفْزَعْ أي تخاف خوفًا لسببٍ مفاجئ، فهي أيضًا **تتفاجأ** وهي أيضا لا تستطيع أن تُزيل الفزع من قلوبِها بل الذي يُزيل الفزع من قلوبِها هو الله –سبحانه و تعالى- وهذا يدُلُّ على أنّ الملائكة لا تستحِق أن يُصرف لها شيء من أنواع العبادة، فكيف بمن دونها من المخلوقات؟

وكنّا شرعنا في حديث أبي هريرة و وقفنا في منتصفِه .

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

المتن :

[و][1] في «الصحيح» عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «إذا قَضَىٰ الله الأمر في السماء، ضربتِ الملائكةُ بأجنِحَتها خُضعانًا لقوله، كأنه سلسلة علىٰ صفوان[2]، يَنفُذُهم ذلك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ: ٢٣]، فيسمعُها مسترق السمع، ومسترقُ السمع هكذا بعضُه فوقَ بعض - وَصَفه سفيان بكفِّه، فَحَرَّفها وبدَّدَ بين أصابعه - فيسمع الكلمةَ، فيُلقيها إلىٰ من تحته، ثم يلقيها الآخر إلىٰ من تحته، حتىٰ يلقيها علىٰ لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشِّهابُ قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يُدرِكه، فيكذبُ معها مائة كَذْبة، فيقال: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء»[3].

الشرح:

قال و في الصحيح أي (في صحيح البخاري) كما تقدّم معنا عن أي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال :

إذا قضى الله الأمر في السماء : أي إذا تكلم الله –عزّوجل– بالوحْي أو بما أراد قضاءه –سبحانه تعالى–

ضربت الملائكة بأجنحتِها : أي وضعت الملائكة أجنحتها على الأرض ، و الملائكة أُولُو أجنحة و هم يتفاوتون في أعداد أجنحتهم ، و تقدّم معنا أنّ جبريل – عليه السلام– له سِتُ مائة جناح، وهذه الأجنحة لها ريش، فإنّه تقدّم معنا أنّه

يُنشَرُ من ريشِهِ تهاويل الدّرُّ و الياقوت ، فتضع أجنِحتها على الأرض خُضعَانًا أي خاضعين لله –عزّوجل– لقولِهِ.

كأنّه سلسلة على صفوان: أي أنّ الله –عزّوجل– يتكلّم، و ربُّنا –سبحانه و تعالى– يتكلم بما شاء متى شاء –سبحانه و تعالى– و يتكلّم بحرْفٍ و صوت، فإنّ الملائكة تسمَعُ الكلام و يكون وَقْعُ الصوت في قلوبِها كأنّه صوت **سلسلة على صخرة ملساء**، فهذا ليس تشبيهًا لكلام الله –عزّوجل– و إنّما هو بيان لصفة سمْعِ الملائكة لهذا الصوت، أنّها تسمَعُ الصوت هكذا كأنّه سلسلة على صفوان.

ينفذُهم ذلك: أي يدخُلُ في قلوبهم و يبْلُغُ منهم كل مبلغ ،

وهنا محذوفٌ وهو أنّهم إذا سَمِعوا ذلك فَزِعُوا وَغُشِّيَ عليهم و سجدوا.

فإذا ، (و قلت لكم الّذي في الأحاديث فإذا) ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم : أي أزال الله الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض.

ماذا قال ربّكم؟ فقال بعضهم: قال الحقّ يعني قالوا قال الحقّ قال ربُّنا الحقّ :

فالله حقٌّ يقول الحقّ.

وهو العَليّ الكبير :و هذا كما قلت لكم –يا إخوة– تمجيد لله و ثناءٌ على الله قبل أن يُخبِروا بالقولِ الذي قاله، فهو من باب تمجيد الله –عزّوجل– و الثناء عليه –سبحانه و تعالى– و إلاّ فالملائكة كُلّها يعلمون أنّ الله –عزّوجل– لا يقول إلاّ الحق.

قال فيسمعها مُستَرِق السمع : و قلنا إنّ مُستَرِق السَمْع هم مرَدَة الجِّن وهم يسترِقون السَّمع من السماء الدنيا أو من السحاب، و قلنا إنّهم قبل بِعْثَة النبي ﷺ كانوا يتَّخِذون مقَاعِدَ للسْمعِ من السماء الدنيا، و كان يَكْثُر إستماعُهم و إن كانوا يُرْمُوْنَ بالشّهب أحيانًا، ثمَّ لما بُعِث النبي ﷺ سُّد الباب أمامهم و سُّد الطريق أمامهم، فمُلِئت السماء حرصا شديدًا و شُهبًا فمن يستَمِع منهم أو يحاوِل أن يستَمْع يجِدُ له شهابًا رصدا، فهو لا يستطيع أن يصل إلى الأرض بشيء و هذا كان فيه حفظٌ في زمن النبي ﷺ إلى أن مات، فلمّا مات النبي ﷺ عادَ الجّن إلى الإستماع لكنّه أضعف ممّا كان قبل بِعثَة النبي ﷺ.

قال و مُسترِقوا السمع هكذا بعضه فوق بعض : و قلت لكم إنّ هذه الجملة لم يَتَّضح لنا من قالها، هل قالها النبي ﷺ ؟ أو قالها أبو هريرة رضي الله عنه ؟ أو قالها سفيان ؟و لكنّ "سُفيان" وصف لنا ما قيل في الوصفِ.

قال وصفه سفيان بكَفه اليُمنى : "هكذا جاء في بعض الروايات".

فحرَّفها: و جاء في بعض الروايات "**فَنَصَبَها**" أي نصبها عرْضًا هكذا.

و بَدَّدَ بين أصابعه: أي فرّج بين أصابِعِه، فهم يكونون فوق بعضِهم إلى ان يبلُغوا السماء الدنيا أو يبلغوا السحاب.

فيسمعُ الكلمة: أي الّتي قالها الله –عزّوجل- فسمعتها الملائكة،

فيُلقيها إلى من تَحْتَهُ: أي من الجّن.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يُلقيها على لسان الساحِرِ: و السّاحر معروف وهو الّذي يستَخْدِم تعاويذ و عزائم يعقِدُها لِيَضُرَّ مَنْ أراد ضُرَّه و لا يستطيع أن يضّر أحد إلاّ بإذن الله –سبحانه و تعالى–،

و في هذا دلالة –يا إخوة– على أنّ السحرة يستعمِلون الجّن ولاشك أن السحرة يتقربون إلى الجّن و لِذا تجِدُ أنّ بيت الساحر مهما بَلَغ من الثراء تجِده في غاية القذارة و الوَسَخْ ، لأنّهم يتقربون إلى الجّن بهذا الوسخ و هذه القذارة، فالسّاحر أقل ما يكون أن تكون ملابسه قذِرة مُتَّسخة، و بعض السّحرة لا يغتسلون من الجنابة سواء رجال كانوا أو نساء تقرّبًا إلى الجّن.

أو الكاهِن :و الكاهن هو الذي يدّعي علمُ الغيب في المستقبل، أو يَدَّعي معرفة المُغَيَّبات،

ما يدّعي عِلْم الغيب، يقول : إذا سافرْت سيقع لك حادث عند النُقطة الفُلانية وتحترِق سيارتُك أو نحو هذا، أو يدّعي علم المغيَّبات أين تكون ؟ فمثلاً : تُسرق السيارة فيذهب صاحب السيارة إلى الكاهِن و يقول سيارتي أين ؟ يقول : سيارتُك الآن في الطائف في الرياض مثلاً ، فيدّعي أنّه يعلمُ بمكان الغائبات، هذا الكاهن.

و الكاهن سيأتينا بيانه حُكم من يأتيه، و لاشّك أنّ حُكم إتيان الكُهان **حرام حرمة مغلظة** ، لكنَّه قد يكون **شركًا أكبر**، وقد يكون دون ذلك قد يكون **كفرًا** و قد يكون دون ذلك ، و سيأتي إن شاء الله بيان هذا بابٍ مستقل .

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

فربّما أدرَكَهُ الشّهاب :

الشّهاب –يا إخوة– قطعة من النّجم نارّية تنفَصِل عنه تُسمى أحياناً بالنيازِك، يعني يقولون جسم ناري ينفصل عن النّجم، أمّا النجوم فهي لا تنزل إلى الأرض ولكن هذه الشُهُب، القِطع النارية التي تنفصِل عن النجوم و هي تُرسَلُ بأمرِ الله –سبحانه و تعالى–.

فربّما أدرَكَه الشّهاب قبل أن يُلقيها : فلا تَصِل كلمة إلى الكاهِن أو الساحر.

و رُبَّما ألقاها إلى الكاهن أو الساحر قبل أن يُدْرِكَهُ "أي الشِّهاب" فيَكْذِب معها مائة كذبة : –طيّب– من هو الّذي يكذب ؟

قال بعض أهل العلم :

–الّذي يكذب هو الجّني، يَكذِب مع الكلمة التي سَمِعها مئة كذبة، و يُلقيها على الساحِر أو الكاهِن، فيعْتَقِد فيه الساحِر أو الكاهِن لأنّ في كلامِه حقًا

–إنّ الّذي يكذب هو الساحر أو الكاهن، يأخذ الكلمة التي و ينقص منها و يزيد عليها فيكذب مئة كذبة وهذا أقرب.

فَيُقال : أي يقول الناس ، إذا سمِعوا الكاهن ، تعرفون بعض المسلمين يقولون هذا عارِف، هذا واصِل ، لماذا ؟ ما الدليل ؟ يقولون أليس قد قال لنا يوم كذا و كذا فَصَدَق، لأن الكلمة التي حقًّا قد سمِعها قالها فتَقَع فيراها الناس، فيقولون : صَدَقَ ،

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

فَيُصَدَّق بتلك الكلمة –سبحان الله– ما أضعف الإنسان، رجل يكذب مائة كذبة و يَصْدُق في كلمة واحِدة، يتعامى عن كل الكذّب و يُصَدِّقُه بهذه الكلمة ، يقولون : هذا رجل واصِل هذا مكشوف عنه الحجاب.

فَيُصدّق بتلك الكلمة التي سُمِعت من تلك السماء : أي يُصدّق في كلامه كُلِّه الكذب و الصدق بسبب تلك الكلمة التي سُمعت من السماء ،

و المرادُ بإراد هذا الحديث بيان أنّ الآية التي ذُكِرت في الترجمة هي في الملائكة، و أنّ الملائكة لا تستحِق أن تُعبد من دون الله فكذا من كان دونها من المخلوقات ،

المتن:

وعن النوَّاس بن سمعان(٤) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالىٰ أن يوحي بالأمر تكلَّم بالوحي، أخذت السموات منه رَجفة - أو قال: رعدة - شديدة خوفًا من الله عز وجل، فإذا [سمع](٥) ذلك أهل السموات صعِقوا وخروا لله سُجدًا، فيكون أول من يرفع رأسَه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل علىٰ الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتُها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق، وهو العليُّ الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلىٰ

الشرح :

تَلْحظون هنا أنّ الشيخ –رحمه الله– لَمْ يذكر من خرّج الحديث كعادته ، وهو في الحقيقة في النّسخ الخطّية قد بيّض لهذا الحديث أي ترك بياضًا، و لعلّه أرادَ أن يُراجِع تخريجه ليُثبِتَهُ ، فنَسِي –رحمه الله– أو لم يَتمَكَنْ.

وهذا الحديث رواه جماعة من اهل العلم منهم : *ابن خزيمة في التوحيد و *الطبري في التفسير و *ابن أبي حاتم و *ابن أي عاصم في السنة و *الطبراني في مسند الشاميين ، و إسناد الحديث ضعيف كما ذكر شيخ الألباني و لَه علّتان :

-**العلّة الأولى** : "نعيم بن حماد" وهذا قد إختلف فيه العلماء.

فقال بعض أهل العلم :

-هو ثقة.

-وقال بعض اهل العلم هو ضعيف.

- و قال بعضهم صدوق له أخطاء.

- و قال بعضهم صدوق كثير الخطأ.

ومن أحسن ما قيل فيه ما قاله ابن عَدّي في الكامل، حيث قال : إنّه أثنى عليه أقوام و ضعَّفه آخرون، وكان متصلّبا في السنّة أي كان صَلبًا في السنة، مات في الحبس، في محنة القول "بخلق القرآن"، أُنكرت عليه أحاديث ذكرها و ليس منها هذا الحديث الذي معنا، ثم قال و باقي أحاديثه أرجو أن تكون مستقيمة، فالأحاديث الّذي أُنكرت على "نُعيم" معدودة معلومة و أغلبُها في الفتن، و العلماء الّذين عَدَّوا لتلك الأحاديث م يذكروا فيها هذا الحديث الذي معنا، هذه العلة الأولى.

-**العلة الثانية** : "الوليد بن مسلم" وهو ثقة لكنّه يُدَلِّس و قد عَنعَنَ، و لكنّ هذه العلة انتفت هنا، لأنّ الطبراني في مسند الشاميين روى الحديث بتصريح الوليد بتحديث فقال : حدثنا ، و تدليس التسوية غير موجود هنا، فتكون

العلّة من جهة "الوليد" مُنْتَفِيَة ، ومن جهة "نعيم" يسيرة فالضعف يسير وقد وجدنا للحديث شواهِد كثيرة صحيحة، فهي تَجبُر ضعف الحديث و لذلك الّذي يظهرُ لي و الله أعلم أنّ الحديث صحيح لغيرِهِ.

و لعلّ هذا هو الّذي جعل ابن خزيمة يذكر الحديث في كتاب التوحيد، و تعلمون أنّ ابن خزيمة التزم الصحة في كتاب التوحيد، فلعلّه ذكره في كتاب التوحيد لشواهِده الصحيحة التي تَدُل على صحته، و لذلك الّذي ظهر لي و الله أعلم أنّ هذا الحديث صحيح لغيرِهِ، لأنّ ضعفه ليس شديدًا و لأنّ شواهده صحيحة و كثيرة تَعضُدُهُ.

قال : و عن النوّاس بن سمعان : صحابي ابن صحابي "النوّاس" صحابي، و "سَمعان" و يُقال سِمعان لكنّ قال العلماء الفتح أشهر يعني "سَمعان".

عن النوّاس بن سَمعان قال : قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله تعالى أن يوحِيَ بالأمر : في هذا –يا إخوة- إثبات الإرادة لله –عزّوجل- و الأدلة على ذلك كثيرة جدّا.

إذا أراد الله تعالى أن يوحِيَ بالأمر تكلّم بالوحْي : وفي هذا إثبات الكلام لربِّنا – سبحانه و تعالى– و أنّ الملائكة تسمعُ كلامُ ربِّنا –سبحانه و تعالى–.

إذا أراد الله تعالى أن يوحِيَ بالأمر تكلّم بالوحْي أخذتِ السماواتِ منه : أي من كلام الله.

رَجْفَةٌ : أو رعْدةٌ : شكّ الراوي و المعنى واحد، وهذا يدل على أنّ السماوات فيها شُعور و الله قد جعل في مخلوقاته شعورًا تخافُ اللهَ بِهِ خوفًا من الله –عزّوجل–، السماوات كلُّها تُصِيبُها رجفة و رعدة لكلام الله –عزّوجل– خوفًا من الله.

فإذا سَمِعَ ذلك أهلُ السماوات كلام الله صُعِقُوا : عند أول السّماع ، عندما يَسمَعُ أهل السماوات كلام الله أوّل ما يسمعون كلام الله من تعظيمِهم لله و خضوعهم لله و خوفِهم من الله يُصعقون أي يُغشى عليهم.

و خَرُّوا لله سُجُدا : هل هذا معَ الغُشّي؟ فُيُغشى عليهم خارّين لله سُجَّدًا

-فيكون سقوطُهم على الأرض على هيئة السجود،

-أو أنّ هذا يكون بَعْدَ أن يُفَزّعَ عن قلوبِهم.

فإذَ فُزِّع عن قلوبِهم خرُّوا لله سُجَّدا، لم يأتي ما يَدلُّ على هذا أو هذا ، و الواو تقتضي مُطلق الجمع ما تدل على الرتيب، لكنّ اليقين أنّه يحصل لهم الغُشِّيْ و يحصل منهم السجود، يخرون لله سُجُدًا ما شاء الله ثم يرْفَعُ جبريلُ رأسه.

فيكون أول من يرفَع رأسه جبريلَ(جبريلُ) : أوّل من يرفَع رأسه من السجود من الملائكة هو جبريل –عليه السلام– .

فيُكَلِّمُه الله من وحيه بما أراد : وهذا دليل –يا إخوة– على أنّ جبريل يسمَعُ القرآن من الله –عزّوجل– و أنّ القرآن كلامُ الله حقيقة بحرْفٍ و صوتٍ، سمِعَهُ جبريل من ربِّنا –سبحانه و تعالى–.

ثم يَمُرُ جبريل على الملائكة : أي في السماوات، و "ال" هنا للجنس فتقتضي عموم الملائكة بكلّ سماء.

كلّما مرّ بسماء سألهُ ملائكتُها : أي جميع ملائكة هذه السماء يسألون جبريل- عليه السلام-.

ماذا قال ربُّنا يا جبريل ؟

فيقول جبريل : قال الحقّ و هو العليُّ الكبير،

قال: فيقولون كلُّهم : أيّ كلّ الملائكة.

مثلما قال جبريل، فينتهي جبريلّ بالوحي إلى حيث أمَرَهُ الله : فجبريل هو الرسول المُكلّف من الملائكة بالوحْي، يوصلُ الوحي إلى من يأمرُه الله -عزّوجل- بأن يوصِلَهُ إليهِ ،

و قد جاء عند الإمام مسلم -رحمه الله- عن ابن عباس رضي الله عنه عن رجالٍ من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ أنّهم كانوا جُلوسًا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة إذْ رُمِي بنجمٍ أي بشهاب، و إلاّ فالنجوم لا تسقُط، لكن هذا من باب تسمية الشهاب بالنّجم لأنّه يَنْفَصِلُ عنه ، فاسْتَنَارَ أي رأوا نورَهُ، فقال رسول الله ﷺ لهم : ﴿ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُمِيَ بمثل هذا ؟﴾ وهذا يَدُل على ما قدمناه -يا إخوة- أنّ الشُّهُب كان يُرمى بها في الجاهلية قبل مبعَث النبي ﷺ ، ﴿قالوا : كنّا نقول وُلِدَ الليلة رجُلٌ عظيم، و مات رَجُلٌ عظيم﴾ ، إذا رأوا الشُهب قالوا الليلة ولد رجلٌ عظيم، أو يقولون مات الليلة رجلٌ عظيم، فقال رسول الله ﷺ : ﴿فانّها

لا يُرمى بها لموت أحدٍ ولا لحياته، و لكنّ ربّنا –تبارك و تعالى- إذا قَضى أمرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ العرشِ ثمّ سبَّح أهل السماء الذين يَلُونَهُم حتّى يبلُغَ التّسبيحُ أهل هذه السّماء الدنيا﴾ لأنّ السماء الدنيا هي الّتي نراها فوْقنا، ﴿فيقول الّذين يلون حَمَلة العرْش لحَمَلة العرش : ما ذا قال ربّكم ؟﴾ فهنا الّذين يسألون هم الّذين يَلُونَ حَمَلَة العرش و الّذين يقولون هم حَمَلَةُ العرْش، ﴿فيُخبرونهم ماذا قال، قال فيستخبرُ أهل السماوات بعضًا حتى يبلُغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطَفُ الجنّ السمع، فيقذِفُون الى أو ليائهم ويرمون به، فما جاءوا به من الحقّ على وجهه حقّ ولكنّهم يَقرفُون فيه ويزيدون﴾.

وهذا يدل –ياخوة- أنّ الذي يقول "قال الحقّ وهو العليّ الكبير" أحيانًا جبريل -عليه السلام- وأحيانًا حملة العرش، لأنّه جاء في الرواية عند الامام أحمد "فيقولون الحقّ وهو العليّ الكبير"، وهذا يدلّ على أنّ الجنّ يسترقون السمع من السماء الدنيا كما جاء عند البخاري، أنّهم يسترقون السمع من السحاب، والسحاب –ياخوة- دون السماء، السحاب بين السماء والأرض، فقد ثبت في البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنّ الرسول ﷺ قال: ﴿ انّ الملائكة تنزلُ في العَنانِ، وهو السحاب فتذكر الأمر قُضيَ في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه، فتُوحيه الى الكهّان فيكذبون معها مئة كذبة من عند أنفسهم ﴾، فهذا يدلّ على أنّ مردة الجنّ يستمعون من السماء الدنيا، يسترقون السمع من السماء الدنيا، أي قرب السماء الدنيا، و الاّ فانّهم لا يدخلون السماء، ويستمعون أيضًا يسترقون السمع من السحب، فالملائكة تتر الى السحب و يُحدِّث بعضها بعضًا بما قال الله، فيسترق

مردة الجنّ الكلام ويُلقونه الى الكهّان، والمراد بهذا –ياخوة– بيان أنّ الملائكة عبادٌ مُكرمون لا يستحقُّون أن يُصرفَ لهم شيءٌ من أنواع العبادة،

واذا ثبت عندنا في الباب الأوّل أنّ أفضل الخلق وسيّد الانس محمدً ﷺ لا يستحقُّ أن يُصرَفَ له شيء من العبادة وأنّ الملائكة لا يستحقُّون أن يُصرفَ لهم شيءٌ من العبادة علمنا يقينًا أنّه لا يوجد مخلوقٌ يُصرفُ له شيءٌ من العبادة لا دعاء ولا نذر ولا استغاثة ولا استعاذة ولا غير ذلك من أنواع العبادة.

قال رحمه الله فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

نعم : "حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ".

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك خصوصًا ما تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

نعم كما قلنا هذه الآية فيها دلالة بينة على إبطال الشرك. و أكثر الشرك الذي يقع في أمة محمد ﷺ ليس من باب عبادة الأصنام و إنما من باب الغلو في الصالحين و التعلق بالصالحين و الملائكة عباد الله المكرمون الذين لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون، فهم عباد صالحون و على هيأة و خلقة عظيمة و مع ذلك لا يستحقون أن يصرف لهم شيئا من أنواع العبادة،فكذا من دونهم من الصالحين.

الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

كما تقدم معنا.

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

نعم لماذا يسألون ؟ قال الله أنه يغشى عليهم فيسألون.

الخامسة: أَنَّ جبرائيل يجيبهم بعد ذلك بقوله: {قال: كذا وكذا}.

نعم أن جبريل عليه السلام يجيبهم بعد ان يقول:" قال الحق و هو العلي الكبير "إنه قال كذا و كذا أي إن الله عزّ وجل قال كذا و كذا فيخبرهم.

و في الحديث الآخر أن حملة العرش يخبروهم بما قال الله عز و جل.

السادسة: ذكر أَنَّ أول مَن يرفع رأسه جبرائيل.

نعم و هذا ظاهر.

السابعة: أَنَّهُ يقول لأهل السموات كلهم؛ لأنهم يسألونه.

نعم يعني كل أهل السماوات يسألون جبريل عما قال الله فيخبرهم.

الثامنة: أَنَّ الغشي يَعُمُّ أهل السموات كلهم.

نعم.

التاسعة: ارتجاف السموات لكلام الله عَزَّ وَجَلَّ[1].

السماوات ترتجف لكلام الله و إنك لتعجب منا نحن الذين خُلقنا من تراب و أجسادنا من لحم و دم، و فينا الشعور بالخوف كيف نسمع الله فلا نرتجف و لا

ننْزجر، نعوذ بالله من قسوة القلوب يدخل أحدنا المسجد و يصلي مع الإمام و يقرأ الإمام آيات الوعيد و أحدنا و العياذ بالله يحدث نفس بالمعصية و هو يسمع كلام الله، و إذا خرج من المسجد بدأ في معصية الله، لأن الغفلة طغت على القلوب كأنّا لا نسمع بل كثير منا في الحقيقة لا يسمعون، كثير منا في الصلاة لا يسمعون إلا التكبير، ما يقرأه الإمام لا يسمعونه.

فالذي ينبغي -يا إخوة- أن نجاهد أنفسنا و أن نوقظ قلوبنا و أن نحضُر أسماعنا و أن نقدر لكلام ربّنا قدره، و أعلموا حفظني الله و إيّاكم، وفّقني الله و إياكم أن من خاف الله في الدنيا صادقا أمّنه الله يوم القيامة يوم الفزع الأكبر، ألا يستحق هذا منّا أن نجاهد أنفسنا و أن نخاف الله عزّوجل و نجاهد أنفسنا في ذلك رجاء الفوز العظيم عند لقاء الله عزّوجل بالأمن التام، فلا يجمع الله على عبده خوفين، من خاف الله في الدنيا صادقا و أن تتعامل مع الله، الخلق يُخادعون، أمّا الله فهو يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور ، اذا خفت الله صادقا في الدنيا لم يجمع الله لك خوفين ، **خوف الدنيا و خوف الآخرة،**

فينبغي -يا إخوة- نستشعر هذا الداء الذي أصابنا و هو داء الغفلة، نقرأ القرآن و نحن نفكّر في المعاصي، نصلي و نحن نفكّر في المعاصي، ما أن ننطلق من المسجد حتى نبادر بالمعاصي و هذا يدلُّ على قسوة القلوب و العياذ بالله، نسأل الله ان يرقّق قلوبنا لطاعته.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

العاشرة: أَنَّ جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله عَزَّ وَجَلَّ.

نعم من السماء أو الأرض.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

نعم و بينا- يا إخوة- أنهم كانوا يسترقون قبل بعثة النبي ﷺ .

أمّا بعد بعثة النبي ﷺ الى موته إمتنع عليهم الإستراق ثم عادوا بعد ذلك للإستراق و إن كان إستراقهم التالي أضعف ممّا كان قبل البعثة.

الثانية عشرة: ذِكرُ رُكُوبِ[٢] بَعضِهِم بَعضًا.

نعم التي بيّنها سفيان.

الثالثة عشرة: سَبَبُ إِرسَالِ الشُّهَابِ[٣].

نعم و هو إستراق الجن للسمع.

الرابعة عشرة: أَنَّهُ تَارَةً يُدرِكُهُ الشِّهَابُ قَبلَ أَن يُلقِيَهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِن الإنس، وَتَارَةً يلقيها قبل أن يُدرِكَهُ[٤].

نعم لأنّ إلقاء الشهب من باب الأسباب و الأسباب قد يتحقق المراد منها و قد يشاء الله ألا يتحقق و هذا يدلُّنا -يا إخوة- على أن الأمر كلّه لله سبحانه و تعالى، فحتى هذه الشهب التي ترسل على الجن إن شاء الله أن تُدرك الجنيّ أدركته فأهلكته، و إن لم يشأ عطّل هذا السبب و لم يتحقّق المقصود.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يَصدُقُ بعض الأحيان.

نعم، و هذا دَيدَنُ أهل الباطل، لا يمكن أن تجد شخصا من أهل الباطل يكون كلامه باطلا كلّه، لأنّه لو كان كلامه باطلا كلّه ما استجاب له أحد و ما سمع كلامه أحد، لكنّ أهل الباطل يخلطون باطلهم بحقٍّ و قد يجعلون الحق كثيرا ، لكن الباطل عظيم التأثير ، قد تجد رجلاً يتكلّم و قد يُقرِّر السنة و يتكلّم عن السنة و لكن يخلق كلامه عن السنة بشيء من البدعة، و هذه البدعة إذا وقرت في القلب أفسدته.

و لذلك- يا إخوة- لا حجّة لأحد أن يُقال إن فلانا كلامه فيه حق، ما في أحد يتكلّم بالباطل إلاّ و يجعل فيه حقًّا و إنّما العبرة بحقيقة الكلام و مراميه و ما فيه، و لربّما سقطت قطرة سمٍّ في وعاء عسل فأفسدت العسل على أهله.

و هذا- يا إخوة- يجعلنا نحذر فيما نسمع ، فكم مّن شخص دخل عليه الداء من كلمة في كلام و من جملة في جمل، و هذا يدلُّك على فقه السلف في نهيهم عن مجالسة أهل البدع و الإستماع لهم.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائةَ كذبة.

نعم.

السابعة عشرة: أَنَّهُ لم يُصَدَّق كَذِبُهُ إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

نعم، أي أن الناس لم يُصدِّقوا كذبه الذي زاده إلا بكلمة الحق التي سُمِعت من السماء ، فيقولون الرجل صادق ألم يقل لنا كذا و قد وقع.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة [كَذِبَةٍ؟!] (٥).

نعم، الناس أسرع الى قبول الباطل منها إلى قبول الحق، لأنّ الغالب ان الباطل يُحدِّثُ الغرائز و لا يُكلِّف من العمل شيئا.

أما الحقّ فهو يُحدِّث العقول و يبني الأعمال، و إسراع الناس إلى العواطف أكثر من اسراعهم إلى العقول، و لذلك دعاة الحقّ ينبغي عليهم أن يجتهدوا في الدعوة أكثر من أهل الباطل لأنّ إسراع الناس الى الباطل الذي يُزخرَف و يُغلَّف اكثر من إستجابتهم للحقّ، لأنّه كما قلنا، و أنا قلت مرارا كلام أهل الباطل يُطرب و يُعجب و لا يُتعِب، بل يخرج الإنسان من كلام أهل الباطل و هو يظنّ أنّه من أصلح عباد الله و لو كان من الفُسّاق.

أما كلام أهل الحق فهو ثقيل ، و لذلك ينبغي على دعاة أهل الحقّ ان يسيروا في دعوتهم و يصبروا ، نعم ستجد مُعوِّقات من القريبين منك، الإصلاح طريقه صعب وكثير من الناس لا يريدون أن تخطف منهم شيئا، الاصلاح طريق مُر لكن عاقبته حميدة و المصلح يُواجه العواطف بعلم، و ذلك يواجهه غيره بالسبّ و الشتم.

المُصلح يواجه العواطف بعلم بالبيِّنات و البراهين و الحقّ، و لذلك يواجهه مخالفوه بالسبّ و الشتم و يُحاولون إيقاف طريقه و يزعمون أن هذا المُصلح لا يستمع له أحد، نشأنا ندرس على مشايخنا الكبار و هناك من يقول إنّ الشيخ لا يُسمع له في المملكة مجهول يريدون أن يُنفِّروا من اهل الحق.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

الاصلاح طريق صعب،لكن من رزقه الله الإخلاص فليُبشر، فإنه في طريق مستقيم مُبتدأَه في الدنيا و مُنتهاه في الجنّة، و ما من مصلح أخلص لله إلاّ صدقه الله عز وجل و لو بعد موته و ظهر أثر دعوته على الناس و لو بعد موته.

التاسعة عشرة: كونهم يُلقِي بعضهم إلى بعض [٦] تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

نعم، فهم كما قلنا لا يتجرّدُون من الحقّ بالكليّة ، و لكنّهم يجعلون الحق مصيدة للباطل، مصيدة للناس ليقعوا في الباطل.

العشرون: إِثبَاتُ الصِّفَاتِ، خِلَافًا للمعطلة [١].

نعم إثبات الصفات، فقد تقدّم معنا أنّ:

- الله عز وجل يتكلّم .
- الله هو العلي له علوّ الذات و علوّ القهر و علوّ القدر.
- و أنّ الكبير سبحانه و تعالى .

و كل مؤوِّل للصفات لا بدّ أن يكون مُشبِّهًا في أول أمره، مُعطِّلا في آخر أمره.

كل من أوّل صفة من الصفات لا بدّ أن يكون مشبِّها في أوّل الأمر، لأنه لماذا يؤوِّل ؟

لأنّه شبّه: لمّا يأتون مثلا لقول الله عز وجل:﴿ الرحمن على العرش استوى﴾، أوّل ما يخطر في باله إستواء إبن آدم و يُشبِّه إستواء الله باستواء إبن آدم ، فينفُر من ذلك فيقول ما يليق بالله فيؤوِّل، فأوّل أمره التشبيه، و يؤُولُ أمره إلى التعطيل لأنّه

اذا أوّل الصفة فقد عطّلها.

اذا أوّل صفة اليد لله بالقوّة ، وقال معنى يد الله قوة الله، عطّل الله من صفة اليد.

إذن كل مُؤوِّل للصفات لا بد أن يكون مشبِّهًا في الأوّل مُعطِّلا في التالي.

و أهل السنة و الجماعة يُثبتُون الصفات الواردة في الكتاب و السنة على ما يليق بجلال ربِّنا سبحانه و تعالى فلا يُشبِّهون، لأنّ الله عندهم أعظم و أجلّ بأن يُشبَّه بأحد من خلقه، فكما أن ذاته لا تُشبه الذوات، فصفاته لا تُشبه الصفات، فلا يُشبِّهون و لا يُكيِّفُون بل و لا يسألون عن الصفة بكيف، و لا يُحرفُّون و لا يُعطِّلون لأنّهم مُعظِّمون لله عز وجل.

الحادية والعشرون: التصريح بأَنَّ تلك الرجفة والغشي خَوفًا مِن الله عَزَّ وَجَلَّ.

نعم، كما ورد في الحديث أنّ هذا لخوفهم من الله ، خُضعَانًا لله.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجدًا.

نعم، كما تقدم معنا لكن هل سجودهم

- مع الغشي الذي يحصل لهم .
- أم أنه يكون بعد أن يُفزَّع عن قلوبهم

السجود ثابت و وقته بالنسبة للغشيِّ الذي يكون لهم لم يأت ما يدلّ عليه.

(١٧) باب الشفاعة

باب عظيم،ذكره الشيخ رحمه الله لوجهين:

الوجه الأول:

أن أكثر من يقعون في الشِّرك من هذه الأمة إنّما يقعون فيه من جهة الشفاعة و يقولون إنّما نتقرّب لهم ليكونوا شفعاء لنا، ينذرون لصاحب القبر فاذا قلت له لماذا تنظر لصاحب القبر ؟

قال: ليكون شفيعي.

فأراد الشيخ بيان ما يتعلق بذلك.

الوجه الثاني :

أنه قد تقدّم قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا أغني عنكم من الله شيئا" في الباب الذي سبق الباب السابق، قال النبي صلى الله عليه وسلم": لا أغني عنكم من الله شيئا "، فناسب ان يذكر الشيخ هنا هذا الباب ليبيّن:

- أنه لا تعارض بين قول النبي صلى الله عليه وسلم لا أغني عنكم من الله شيئا و بين الشفاعة.
- و ليرُدَّ على نُفاة الشفاعة.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

فإن الشفاعة ضل فيها طائفتان:

- **أمّا أحدهما :**

فنفاها، و قال إنّ كل من يستحقّ العذاب يدخل النار ، و كل من يدخل النار لا يخرج منها ، و هؤلاء الوعيديّة من المعتزلة و الخوارج، يقولون كل من يستحقّ النار لا بد أن يدخلها لا عفو لا شفاعة لا بد أن يدخلها و من دخل النار لا يخرج منها، فأنكروا الشفاعة و قالوا إنّ الله نفى الشفاعة و أن الله عزّوجل قال: ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ ﴾، قالوا إذن لا شفاعة يوم القيامة.

- **أمّا الوجه الثاني :**

فأثبتها على غير الوجه الذي دلّت عليه الأدلة، فوقع في الشرك بالله، فكان ذلك سببًا للوقوع في الشرك.

- **توسّط أهل السنة و الجماعة :**

فأثبت الشفاعة على الوجه الذي دلّت عليه الأدلة و نفوا ما يخالف الأدلة من الشفاعة كما سيأتي،

و هذه -يا إخوة- عادة أهل السنة و الجماعة في الإستدلال، أنّهم يجمعون الأدلة ويردّون الأدلّة بعضها إلى بعض:

_يردّون المتشابه إلى المحكم.

_قد تكون الأدلة كلّها محكمة لكن يقيِّدون المطلق بالمقيَّد.

_و يخصّصون العام بالخاص.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

لا يلزم -يا إخوة- من ردّ الأدلة بعضها إلى بعض أن يكون أحدها أو بعضها متشابها ، لا بل :

_قد يكون بعضها متشابهًا و يُردُّ إلى المحكم.

_و قد تكون كلها محكمة و لكن بعضها يحتمل معاني و بعضها لا يحتمل إلا معنى واحدا فيُردُّ ما يحتَمل إلى ما لا يحتَمل.

_و قد يكون بعضها مُقيَّدا و بعضها مطلقا فيُقيَّد المطلق بالمُقيَّد.

_و قد يكون بعضها عامًّا و بعضها خاصًّا فيُخصَّص العام بالخاص.

هذه طريقة أهل السنة و الجماعة، تُجمع الأدلة و لا يُضربُ بعضها ببعض، بخلاف غيرهم،

-فإن نجد الوعيديّة مثلا نظروا إلى نصوص الوعيد فقط و أبطلوا نصوص الوعد فقالوا إنّ مرتكب الكبيرة يوم القيامة خالد مخلّد في النار.

-و المرجئة نظروا إلى نصوص الوعد و قالوا لا يضرُّ مع الإيمان ذنب.

-أما أهل السنة و الجماعة فطريقتهم في الإستدلال دائما أنهم يردون الأدلة إلى بعضها و هذا ما هو ظاهر في إثبات ذات الشفاعة.

فكما قلت لكم الوعيديّة يَنفون الشفاعة أصلا ، لأنّهم أخذوا بالأدلة التي فيها نفي الشفاعة. و من انحرفوا من باب الشفاعة يُثبتون الشفاعة بغير إذن الله و لا رضاه، و يتخذون شفعاء لم يأذن الله في هذا.

أمّا أهل السنّة والجماعة فيجمعون بين الأدلّة كما يأتينا في القواعد التي دلّت عليها الأدلّة في هذا الباب العظيم.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

و **الشفاعة :** -يا إخوة- من الشفع، و الشفع يدل على قرن شيئين و ضمِّ أحدهما إلى الآخر.

الشفاعة في اللغة : شفع فلانا لفلان، اذا جاء لغيره مُلتمسا طلبًا لغيره أو دفعًا لضرٍّ عن غيره ، و اليوم الناس يُسمُّونها واسطة، يقول اتَّخذت واسطة عند المسؤول، فيقوم المُتوسَّط به يذهب إلى المسؤول من أجل طلب المُتوسَّطِ له، إمّا لتحقيق خير له أو لدفع شر عنه.

فالشفاعة إصطلاحا : توسُّطُ الشافع لغيره عند غيره لجلب منفعة أو دفع مضرّة عنه.

لذلك يقول بعضهم الشفاعة: طلب الخير للغير من الغير.

و المراد بالشفاعة في هذا الباب الشفاعة في الآخرة.

لأن الشفاعة- يا إخوة- تكون:

1) في الدنيا من المخلوق للمخلوق عند المخلوق:

تأتيني وتقول لي اشفع لي عند مدير المرور، فأنا مخلوق أشفع لك وأنت مخلوق عند مخلوق وهو مدير المرور.

2) بمعنى الدعاء في الدنيا، كما سنبيِّنه غدًا ان شاء الله، اشفع لي بمعنى ادعوا لي.

3) والشفاعة تكون في الآخرة: وهي الشفاعة عند الله عزّوجل.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد